أخلاق المؤمنين

التواضع



تأليف
أ د/علــى راشــد

رسوم
ماهر عبد القادر

رقم الإيداع: 2013/20635
المجدللنشر والتوزيع: 01006372799



قالَتِ التِّلْمِيذَةُ:

- زَارَتْنَا فِي الْمَدْرَسَةِ الْيَوْمَ شَخْصِيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَمُهِمَّةٌ فِي وَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وقدْ وَجَدْنَاهُ فِي غَايَةِ الْبَسَاطَةِ فِي حَدِيثِهِ، وَفِى مُعَامَلَاتِهِ سَوَاءً مَعَ إِدَارَةِ الْمَدْرَسَةِ، أَوْ مَعَ التَلامِيذ والتِّلْمِيذَاتِ، وَانْفَتَحَتْ قُلُوبُنَا جَمِيعًا لَهُ، وَسَعِدْنَا كَثِيرًا بِلِقَائِهِ.



قَالَ الْأُسْتَاذُ مُبْتَسِمًا: هَذَا هُوَ التَّوَاضُعُ.

أَجَابَ الْأُسْتَاذُ: فالتَّوَاضُعُ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَّةٌ، وَهُوَ يَعْنِي عَدَمَ التَّعَالِي وَالتَّكَبُّرِ عَلَى النَّاسِ، فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يَحْتَرِمُ كُلَّ النَّاسِ مَهْمَا كَانُوا أَقْوِيَاءَ أَوْ ضُعَفَاءَ، أَوْ كَانُوا أَعْلَى أَو أَقَلَّ مَنْزِلَةً.

قَالَ اللّه تَعَالَى:

"تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (سورة القصص: آية 83)





وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا، فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ
أَحَدُ الصَّحَابَةِ ظَلَّتْ يَدُهُ الشَّرِيفَةُ فِي يَدِ
الصَّحَابِيِّ لَا يَنْزِعُهَا، وَيُولِيهِ كُلَّ اهْتِمَامِهِ فِي
أَثْنَاءِ حَدِيثِهَا، وَيَتَبَسَّطُ مَعَ الْجَمِيعِ. فَعَلَيْكُمَا
بِالتَّوَاضُعِ يَا أَبْنَائِي لِكَيْ تَفُوزُوا كَمَا فَازَ الثَّرِيُّ
(سَلَامَةٌ).

الثَّرِيُّ (سَلامَةٌ) كَانَ يَمْتَلِكُ أَمْوَالًا طَائِلَةً لا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، كَمَا كَانَتْ لَدَيْهِ الْعَدِيدُ مِنَ الْقُصُورِ الْفَارِهَةِ، وَيَمْتَلِكُ كَذَلِكَ الْعَدِيدَ مِنَ الْحَدَائِقِ الزِّرَاعِيَّةِ الْمُثْمِرَةِ، وَمِئَاتِ الْأَفْدِنَةِ مِنَ الْأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ عَالِيَةِ الْخُصُوبَةِ.





وَرَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ فَإِنَّ الثَّرِيَّ (سَلَامَةً) لَا يَحْلُو لَهُ تَنَاوُلُ الطَّعَامِ إِلَّا مَعَ خَدَمِهِ وَعُمَّالِهِ، وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَهُمْ عَلَى حَصِيرِ الْأَرْضِ وَيُحَدِّثُهُمْ فِي بَسَاطَةٍ ، وَكَانَ يَمْزُجُ حَدِيثَهُ بِالطَّرَائِفِ وَالنَّوَادِرِ لِيُدْخِلَ السُّرُورَ عَلَى الْجَمِيعِ.

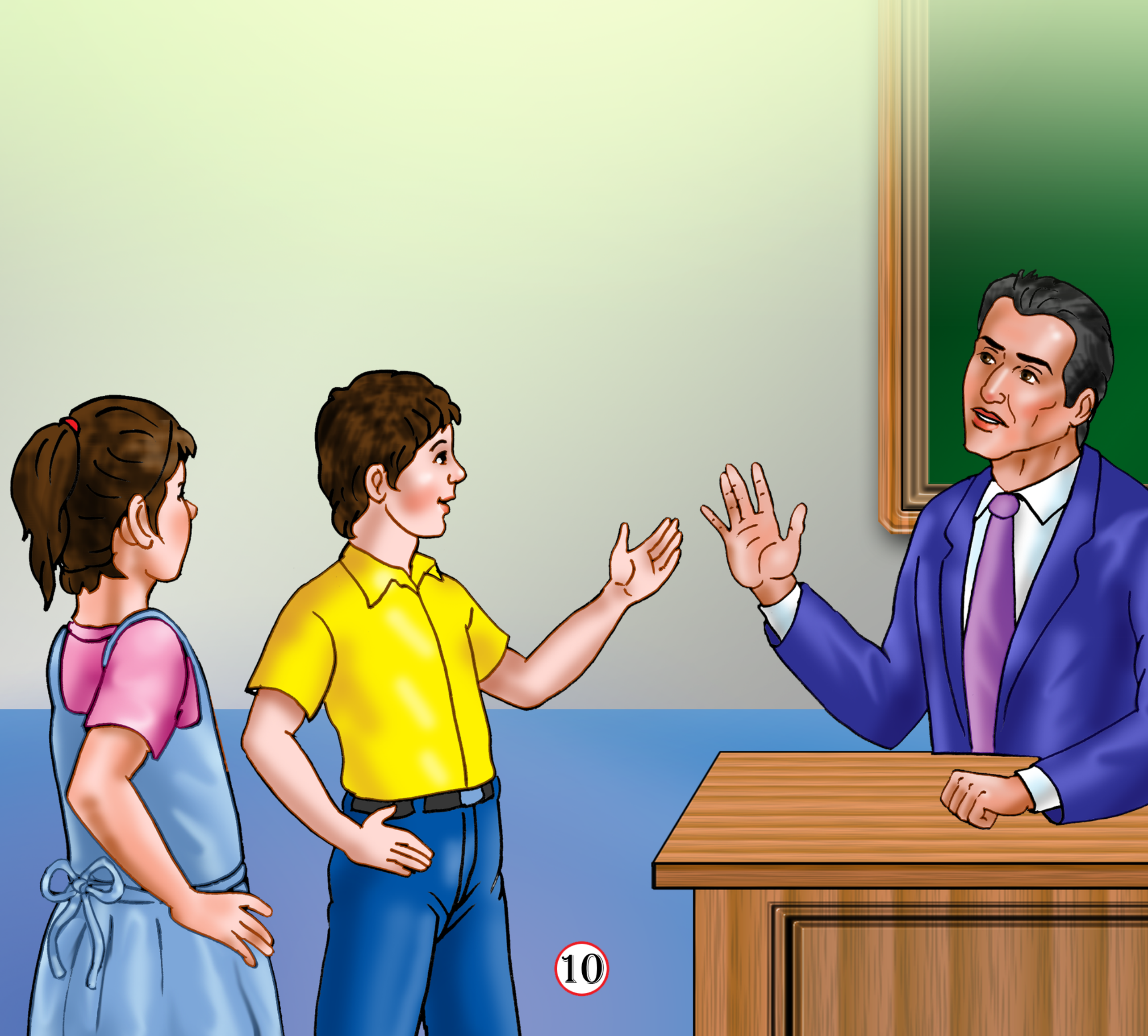


وَأَمَّا عَنْ مَلابِسِهِ فَقَدْ كَانَتْ بَسِيطَةً لَا يُغَالِي فِي مَظْهَرِهَا، فَإِذَا سَأَلَهُ أَحَدٌ مَسْأَلَةً، أَوْ طَلَبَ مِنْهُ حَاجَةً مَا، أَعْطَاهُ إِيَّاهَا فَوْرًا، وَيَزِيدُ عَلَيْهَا كَذَلِكَ .فَفَازَ (سَلَامَةٌ) بِحُبِّ كُلِّ النَّاسِ، كَمَا فَازَ بِحُبِّ اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.



قالَ الْأُسْتَاذُ: أَمَّا عَكْسُ التَّوَاضُعِ رَذيلَةُ الْكِبْرِ، وَمَنْ يُصَبْ بِهَذِهِ الرَّذيلَةِ يَمْشِ بَيْنَ النَّاسِ مُتَبَخْتِرًا، مُتَعَالِيًا، يَتَحَدَّثُ إِلَى النَّاسِ وَكَأَنَّهُمْ عَبِيدٌ لَهُ، وَكُلُّ كَلَامِهِ لَهُمْ أَوَامِرُ وَغَطْرَسَةٌ، لَا يَعْرِفُ الْعَفْوَ وَلَا التَّسَامُحَ، يَكْرَهُهُ النَّاسُ، وَيَكْرَهُهُ رَبُّ النَّاسِ يَقُولُ تَعَالَى: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللّٰه لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (سورة لقمان: آية 18)

فَابْتَعِدُوا يَا أَبْنَائِي عَنْ هَذِهِ الرَّذيلَةِ حَتَّى لَا يُصِيبَكُمْ مَا أُصِيبَ بِهِ الْمُدْعُو (فَوَّازٌ).



(فَوَّازٌ) كَانَ يُمْتَلِكُ مَصْنَعًا كَبِيرًا يَعْمَلُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَامِلِينَ، وَكَانَ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةً فِي غَايَةِ التَّعَالِي وَالْغَطْرَسَةِ وَالْكِبْرِ، فَمَنْ يُخْطِئْ خَطأً بَسِيطًا يُعَاقِبْهُ بِخَصْمٍ كَبِيرٍ فِى أَجْرِه، أَوْ يَطْرُدْهُ مِنَ الْعَمَلِ نِهَائِيًّا.



وَعِنْدَمَا يَطْلُبُ أَحَدُ الْعُمَّالِ حَاجَةً مَا، أَوْ طَلَبًا، يَسْخَرُ وَيَهْزَأُ مِنْهُ أَمَامَ كُلِّ الْعُمَّالِ، وَيُعَايِرُهُ بِمَا طَلَبَ، وَكَانَ لِسَانُهُ سَلِيطًا يَشْتُمُ هَذَا، وَيَسُبُّ ذَاكَ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ كَمَا قَالَ فِرْعَونُ لِقَوْمِهِ: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" (سورة النازعات: آية 24).

وَكَانَ رِدَاءُ الْكِبْرِ هَذَا يَرْتَدِيهِ مَعَ كُلِّ النَّاسِ، مَعَ الْعُمَّالِ، مَعَ الْجِيرَانِ، حَتَّى مَعَ أَهْلِهِ، فَكَرِهَهُ النَّاسُ وَكَرِهَهُ رَبُّهُ.





وَفِى أَحَدِ الأَيَّامِ، وَبِسَبَبِ مَاسٍ كَهْرَبَائِيٍّ احْتَرَقَ مَصْنَعُ "فَوَّازٍ" وَأَتَتِ النِّيرَانُ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ، كَبِيرًا أَوْ صَغِيرًا مِنْ أَجْهِزَةٍ وَمَاكِينَاتٍ وَبِضَاعَةٍ، وَخَسِرَ "فَوَّازٌ" كُلَّ شَىءٍ فِي دُنْيَاهُ، وَكَذَلِكَ فِى آخِرَتِهِ.



فَحَسْبُ الْمُتَكَبِّرِينَ خِزْيًا وَمَهَانَةً فِي الدَّارِ الآخِرَةِ أَنَّ اللّٰه تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَلَا يُزَكِّيهِمْ، جَزَاءً وِفَاقًا لِمَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيَسْتَعْلُونَ عَلَى النَّاسِ،

يَقُولُ رَسُولُ اللّٰه صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ".



قالَ التِّلْمِيذُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْكِبْرِ وَمِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ.
وَقالَتِ التِّلْمِيذَةُ: لَقَدْ فازَ الْمُتَواضِعُونَ، وَخَسِرَ الْمُتَكَبِّرُونَ.
رَفَعَ الْأُسْتاذُ يَدَيْهِ يَدْعُو رَبَّهُ قائِلًا: رَبِّ اجْعَلْنا مِنَ الْمُتَواضِعِينَ، وَلا تَجْعَلْنا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ.
وَرَدَّدَ كُلٌّ مِنَ التِّلْمِيذِ وَالتِّلْمِيذَةِ: آمِينَ يا رَبَّ الْعالَمِينَ.

